Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

منّ اللّه على المؤمنين إذْ بعث فيهم»(٣٠)، وبينّ الزمخشريّ أنه في ضوء هذه القراءة يجوز أن تكون إذ «في محلّ الرّفع كـ «إذا» في قولك: أخطب مايكون الأمير إذا كان قائماً، بمعنى: لِمنْ مَنّ الله على المؤمنين وقت بعثه»(٣١).

والناظر في نص الزمخشريّ يرى أنه فى هذه القراءة تقع إذْ خبراً، ووقوعها خبراً يجعلها متصرّفة، وهو في هذا الرأى قاس إذْ على إذا، لأن إذا في رأيه تقع خبراً في قولهم: أخطب مايكون الأمير إذا كان قائماً».

والواقع ان الزمخشرى خانه التعبير، أو بعبارة أخرى جانبه التوفيق في هذا التقدير، لأن أصل القول السائد هو: أخطب مايكون الأمير قائماً. فـ «قائماً» في هذا القول نصب على الحال، وتقدير القول هو كما قال الزمخشرى: «أخطب مايكون الأمير اذ كان أو إذا كان قائماً، فـ «إذ» عند إرادة المضىّ، وإذا عند إرادة الاستقبال، «وقائماً» في القول السائد عند النحويين حال سدّت مسدّ الخبر الذي حذف وجوباً في هذا الموضع، لأن المبتدأ اسم تفضيل مضاف إلى المصدر المؤول، وفى هذه الحالة تقوم الحال مقام الخبر الذي يحذف وجوباً في هذه الحالة، وتقدير الخبر المحذوف: إذ كان أو إذا كان، وعامل الحال هو ضمير كان التامّة، والحال هنا لا تصلح أن تكون خبراً للمبتدأ الذي هو اسم تفضيل، فـ «قائماً» على هذا التقدير قامت مقام «اذ كان» لأن في الحال معنى الظرفية كما يقول الصّبان، لأنّ «معنى لقيت زيداً راكبا: لقتيه في وقت الركوب، و«إذ كان» سدّ مسد المتعلق الذى هو الخبر في الحقيقة كسداد بقية الظروف مسدّ متعلقاتها العامّة»(٣٢).

ولا أدرى لماذا يقيس الزمخشرى إذ على إذا، فالموضع في المثال المذكور صالح لإذ، وإذا معاً، فـ «إذ» كما قلنا: عند إرادة المضى، و«إذا» عند إرادة الاستقبال، فالمثال صالح للمعنيين.

على أن المثال الذى ذكره الزمخشرى لايتكلم به، لأن الخبر محذوف وجوباً أى أنه لايقال في العربيّة: أخطب مايكون الأمير إذا كان قائماً، وإنما القول المنسوب إلى العرب: أخطب مايكون الأمير قائماً.